قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

«الحركة العلمية في تلمسان ما بين (1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م)، من خلال رِحلة البطوئي»

«The scientific and intellectual movement in Tlemcen between (1008AH/ 1600AD - 1025AH/ 1617AD), through the journey of Al-Batoui»

محمد بومدين [1]*،
[1] كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ـ، مخبر جمع وتوثيق الشعر الشعبي الجزائري من العهد العثماني حتى القرن العشرين، الجزائر.

Key words:

General Governor

Maurice Violet

National movement

Algeria

Colon.

Abstract

The capital of Tlemcen was famous for its scientific and cultural movement during the Middle Ages, such as it became during the modern era, where the activities of its scholars and cultural institutions continued with many scholars, sheikhs, jurists and small scientific houses that were not addressed by local or foreign sources, but that they were recorded by foreign sources on other than The truth of it, within the framework of the colonial school, which appeared in a false way that does not fit with the history of Algeria, where this school made the scientific role of the scholars of Algeria in general and the city of Tlemcen in particular few and insignificant compared to their efforts and contributions, which drew attention in the fields of mental and transport sciences during the Ottoman era, whether inside Algeria or Outside it, such as what was mentioned in Al-Batouti's journey of important information useful in the dating of the cultural history of Tlemcen between the years 1008AH / 1600AD - 1025AH/ 1617AD. He provided us with historical information that other sources did not provide us, which makes this trip very important in terms of addressing the cultural conditions in Tlemcen during the 11th/ 17th century, from the Ottoman era.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :2022/01/07

المراجعة :2022/02/16

القبول : 2022/03/12

الكلمات المفتاحية:

الجزائر

تلمسان

عيسى بن محمد اليحيوي الراسي البطوئي (كان حيا بعد سنة 1046هـ/1636م)

الرِّحلات المغاربية

العلماء.

ملخص

لا يختلجنا الريب، في أن تلمسان واحدة من المدن الجزائرية التي تميزت بحركية ثقافية طائرة الآفاق إبان العصور الوسطى، وتواصلت بها تلك السِّمَة حتى مع الحقب التاريخية الحديثة على عهد العثمانيين. غير أن تلك الحركية العلمَية قد دَونتها المصادر الأجنبية على اختلاف أشكالها وخلفياتها، بكثير من التزييف والتصحيف، حيث صَنعت معالم ثقافية تخص تاريخ الجزائر الثقافي على غير حقيقته، تخدم المدرسة الإستعمارية التي طمست حضارة الجزائر العثمانية في الجانب العلمي على وجه التحديد، وقزّمت بشكل كبير مُجريات الثقافة وأدوار رِجَالاتها العلماء في حواضرها العلمية بمثل ما كان مع مدينة تلمسان، التي على العكسَ من ذلك تماما؛ واستنادًا إلى ما ورد في المُدونات الرّحلية الوافدة عليها إبان القرن 11هـ/17م، فإن هذه الأخيرة، لَمَعَت فيها الكثير من الأعلام العلمية والأدبية، وبرزت إسهاماتها العلمية بشكل لافت للانتباه في ميادين العلوم العقلية والنقلية، سواء على مستوى العلماء أفرادًا كانوا أم بيوتات علمية بكاملها آنذاك، انطلاقًا من المعطيات التاريخية الواردة في رِّحلة «مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح» للبطوئي، وما تضمنتهَ من مادة معرفية جد هامة تميط اللثام عن النشاط الفكري بالمدينة المذكورة ما بين سنوات 1008هـ/1600م حتى 1025هـ/1617م، من حيث العلوم الملقنة، والمناهج والأساليب المتداولة وقتذاك في مختلف المنشآت العلمية بتلمسان خلال العهد العثماني.

* Corresponding author at: * Abou Bekr Belkaid University of Tlemcen , ALGERIA.
Email : boumedinem999@gmail.com

1ـ مقدمة

في إطار ما يُعرف بالرَّحلات على اختلاف أهدافها وخلفياتها، أضحت حاضرة تلمسان ومختلف المدن والأرياف التابعة لها مع مطلع القرن 11هـ/ 17م، تأخذ حيزًا وافرًا من اهتمام الرَّحالة المغاربة على ما يبدو، والّذين دخلوها ووصفوها، وأشاروا لمعطيات علمية مهمة عنها، كانت ولازالت تعتبر من المصادر المرجوع إليها من قبل الباحثين الأكاديميين، بغية تركيب السياق التاريخي وبعثه في حلَّة جديدة تَتَّسم بالجِدِّية في الطرح العلمي.

ولما كانت الأمم تحفظ جهودها العلمية وإنجازاتها الثقافية، من خلال مجموعة من الكتابات المتعددة، منها ما يعرف بأدب الرِّحلات الإثنوغرافية، الّتي تتناول زمنيًا ومكانيًا، وبالمشاهدة المستندة على الشوف المباشر أحيانًا وعلى النقل أحيانًا أخرى، سِيَرَ حياة الأعلام من الناس عبر العصور المختلفة، وبصورة دقيقة تبحث في أحوال الشخصيات والأفراد، الّذين تركوا آثارا علمية وفكرية في مراحل حياتهم، واهتمت أيضًا بتتبع مجمل مواقفهم في الحياة الّتي أثرُّوا وتأثَّروا بها.

وعليه، فإن هذا الحقل المعرفي والمنهجي، قد اهتم به العلماء المغاربة اهتمامًا فيه شيء من الإهتبال، كونه فرع من حقول التاريخ الثقافي، ومجالا من مجالات تاريخ الأدب العالمي والمحلي، فاتجه عدد كبير من هؤلاء الأعلام الرحالة، إلى تدوين سِيرهم أو سِير مَن عاصروهم أو سبقوهم في أزمان متعاقبة في مُدوناتهم الرِّحلية، مُسلطين الضوء على مكانتهم، وإسهاماتهم، وألقابهم، وما حظوا به من عُلو كعب بين أقرانهم.

وفي إطار هذا الصرح العام للرِّحلات المغاربية الإثنوغرافية، وأهميتها المعرفية والمنهجية، تنضوي رِحلة البطوئي، الرحَّالة المغربي الّذي جاب وصال مناطق كثيرة في تلمسان، ونزل ضيفًا على بيت ابن مريم التلمساني، في رِحلة تحتل مكانة هامه في حقل هذا النوع من المصادر بفضل المادة المهمة والغزيرة الّتي قدمها صاحبها، والتي عُدَّت حدثًا رئيسيًا في حياته الشخصية، ومرحلة إيجابية في مجال تكوينه العلمي، بفضل احتكاكاته العديدة برجال العلم في حاضرة الغرب الجزائري تلمسان، في مدة زمنية استغرقت سنوات عديدة، ربط على إثرها علاقات علمية عميقة مع شيوخ تلمسان، وهذا ما أعطى رِحلته قيمة علمية أصيلة في هذا المضمار، مضمار الحركة العلمية وتمظهراتها في المدينة المذكورة. والتي لم يتطرق لتفاصيلها من الباحثين سوى ما قدم له المؤرخ المغربي الحسن الفجيجي، بيَد لم يتوغل في الحياة العلمية الخاصة بمدينة تلمسان بقدر ما اهتم أكثر بشخصية الرحالة البطوئي، ممَّا دفعنا إلى الخوض في هذا البحث للمساهمة الجادة في الحقل الثقافي لمدن وحواضر إيالة الجزائر على عهد الباشوات، وإضافة ما من شأنه أن يساهم بالجديد ذي النوعية المصدرية التاريخية خلال العصر الحديث ككل.

وعلى أساس هذه المنطلقات الإشكالية، وغمزات طُروحاتها المتتالية، تتنزل أهداف دراستنا هذه المُتمحورة حول الحركة العلمية في تلمسان ما بين (1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م)، من خلال رحلة البطوئي، والتي حاولنا على ضوئها إبراز الآثار العلمية والفكرية لهذا العالم من جهة، والكشف والإبانة عما دونه في مُؤَلفه من معلومات تاريخية هامة عن علماء تلمسان في القرن 11هـ/17م، بغرض الوصول والتعرف على أنشطتهم الفكرية والثقافية بتحرِّي مساراتهم العلمية وجذورها، لاستجلاء خلفياتها الثقافية ومنطلقاتها الفكرية، والمؤثرات الثقافية المتأثرين بها وقتذاك، بتقديم ترجمة معتمدة على الكرونولوجيا التاريخية في معالجة التراجم والشخصيات، والذي تبدأ من ميلاد العالم إلى غاية مأتَمِهِ ووفاته، مرورًا بإنجازاته الحياتية، في وضعية طلبية تفرض علينا الخوض في الأوضاع العلمية داخل تلمسان والريف الشرقي للمغرب الأقصى، فضلاً على استكشاف أواصر التواصل الثقافي بين الحاضرتين، انطلاقا ممَّا حملته هذه المادة المصدرية وغيرها، من معلومات دسمة تهتم خاصَّة بنقد أخبار معاصريها من العلماء الأحبار من أهل النخبة بتلمسان، مرتكزين في ذلك على المنهج السردي التحليلي، في ورقة بحثية تركز في أوراقها على أربعة أضلع. نوجز عنصرتها على شاكلة النقاط التالية:

ـ **الضلع الأول**: مُخصَّص لسيرة ومسيرة الشيخ عيسى بن محمد اليحيوي الراسي البطوئي (**كان حيا سنة** 1046**هـ**/1636م).

ـ **الضلع الثاني**: يبحث في الحركة العلمية بتلمسان من خلال علمائها الوارد ذكرهم في رِحلة البطوئي.

ـ **الضلع الثالث**: مُكمل ومُفصل للثاني، حيث يُمحِّصُ ويستقصي نشاطات علماء بيت ابن مريم التلمساني لمَّا خصَّص له البطوئي جانبا معتبرا من سُطور مُؤلفه.

ـ **الضلع الرابع**: جاء لعرض بعض النتائج الأولية حول ما أسفرت عنه الرِّحلة بالتأثير العلمي على عيسى البطوئي طيلة 17 سنة قضاها في تلمسان من جهة، وعلى حاضرة تيزي عدنيت بالريف الشرقي للمغرب الأقصى من جهة أخرى.

2. السيرة والمسيرة العلمية للشيخ عيسى بن محمد اليحيوي الراسي البطوئي (كان حيا بعد سنة 1046هـ/1636م)

إن الخوص علميًا ومنهجيا في ملامح الحركة العلمية والفكرية في تلمسان خلال القرن 11هـ/17م، كما صورها لنا الشيخ البطوئي، لا يمكن فهمها، إلا باستحضار ترسبات الموضوع ومنطلقاته، المرتكزة على شخصية صاحب الرحلة، من خلال التعريف بها، والوقوف عِلاوة على ذلك على أبرز المظاهر التي رَسمت العلاقة الثقافية بينها وبين علماء تلمسان، وهو أساسٌ ارتكزنا عليه، لتطويق وتسييج مسعى هذه الدراسة، بهدف الوصول إلى مظاهر الحركة العلمية في مدينة تلمسان طيلة سبعة عشر عامًا قضاها الرَّحالة في تلمسان ما بين سنوات

1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م، وِفق الشكل ذي الطَرْز المنهجي والمعرفي التالي:

2. 1. مولده ونشأته

هو العالم الرحالة، والفقيه الجامع للمعقول والمنقول، عيسى بن محمد اليحيوي الراسي البطوئي (كان حيا بعد سنة 1046هـ/1636م). المكنى شهرةً بـ: «**أبو عبد الله**»، تبعًا لاسمه عيسى. وهو على حسب محمد حجي أعظم شخصية علمية في بطوية للقرن 11هـ/17م، ولو أن أي واحد من أصحاب كتب التراجم، من المغاربة أو غيرهم، لم يتعرض لترجمته. وكل ما عرفناه عنه مستمد من كتابه الضخم مطلب الفوز والفلاح (حجي، 1978، ص: 454).

ينتمي عيسى البطوئي إلى بيت علم مغربي الأصل، يُعرف بـ: «**بيت البطوئي**»*، أو «**بيت الراسي**»، الذي ترجع عِترُتُهُ الأسرية إلى منطقة الريف المغربي. من قرية «بَطْوِيَة»** من مدشر «تيزي عدنيت». خلافًا لما جاء في بعض كتب المعاجم والسير أن نسبته تعود إلي منطقة بَطِيوَة بأرزيو الجزائرية.

هذا، ولم نقف في المصادر الذي بين أيدينا عن تاريخ مولده، ولو بإشارات وتلميحات، سوى ما قدم له المؤرخ المغربي الحسن الفجيجي، بقوله: إننا مقتنعون من أن عيسى من مواليد قبيلة بني سعيد في حدود الثمانينات من القرن 10هـ/16م، بناء على ما استنبطناه من خطواته الدراسية الأولى، إذ أنه كان حوالي 996هـ/ 1588م، في سن تمكنه من الجلوس في المدرسة لحفظ القرآن والتدرب على مختلف القراءات، كما كان من جهة أخرى حيا سنة 1004هـ/1596م، مشتغلاً بتحرير الصفحات الأخيرة من المجلد الثاني من رحلته، مُعتنيًا باستقصاء الأخبار عن رجال الدين وصلحاء بطويَة، وكان عمره آنذاك قد تعدى الخمسين سنة، فلم يسعه سوى أن يكتب: «(...) **فآن لعمر فان، وأجل دان، وسير حثيث غير وان، وخطوب ذات الوان – لقد لعب بنا الأمل حتى دنا منا الأجل** (...)» (الفكيكي، (دت)، ص:3).

2. 2. عائلته

لم تذكر المصادر لا الشيء الكثير ولا النزر القليل عن عائلة البطوئي، إلاَّ ما قدمه هو في مؤلفه مطلب الفوز والفلاح من تلميحات تبين أن والدته تمراوية بوحسانية من «**آيت تميرت**»، كانت حية في مستهل القرن 11هـ/17م، فهذا هو ما أوْصَلَنَا إليه المؤرخ المغربي "**الحسن الفجيجي**" إلى جانب إسم خاله أحد الصلحاء، المدعو أحمد بن موسى بن يحيى التمرواي البوحساني (الفكيكي، (دت)، ص:3). ويَعتقد المؤرخ السابق الذكر من جانب آخر أن جد عيسى المدعو «**يحيى**»، هو من مدشر «**إيحياتن**» المعروف بـ: «**أولاد يحيى**»، الواقع جنوب زكزاوة، لأن البطوئي قد استعمل نسب اليحياوي في مكان آخر من زوايا مؤلفه. والغريب أن البطوئي لم يشر بالحديث قط إلى أبيه، وكأنه لم يحتفظ في ذاكرته بشيء عنه، ويُفسر هذا على الأرجح، بكونه فقده مبكرا، وفي السنين الأولى من طفولته، وقد كان والد البطوئي على درجة كبيرة في الاهتمام بالتعليم الديني (الفكيكي، (دت)، ص:3).

2.3. الحياة الزوجية للبطوئي

2.3.1. زواجه في تلمسان أم في المغرب الأقصى؟

لقد ذكر البطوئي في رحلته أنه كانت له زوجة سيئة الخلق، سأل في شأن طلاقها ثلاث فقهاء وهو في تلمسان ـ كما سنتطرق له لاحقا ـ غير أنه لم يُصرح أكانت من أهل تلمسان إذا ما علمنا أنه مكث في هذه المدينة مدة 17 سنة، وهي فترة كافية للزواج وتأسيس أسرة، أم كانت من المغرب الأقصى، والاحتمال الأخير ضعيف، كونه استفتى في أمرها علماء تلمسان ولم يستفتي نظرائهم من علماء المغرب الأقصى إذا ما افترضنا أنه تزوج هناك والزوجة من أهل ذلك البلد.

ومهما يكن من أمر، فإن البطوئي كان متزوجا وأراد الطلاق من زوجة كانت حاملا، غير أن علماء تلمسان تحفظوا كثيرًا عن هذا الطلاق والمرأة حامل، إلى أن وُلدَ الجنين ميتًا ولم يُكتب لهذا الحمل بأن يُوضع، وفي الأخير طلقها وهو مرتاح البال على ما أوصاه به شيخه ابن مريم، وفي الآتي تفصيل لذلك: «**ومنها ما حدثني صاحبه سيدي محمد بن صفية العامري التلمساني** (**من علماء القرن** 11**هـ**/17م)، **رضي الله عنه، وكان من تلامذة الشيخ رضي الله عنه قال: كانت لي زوجة سيئة الخلق وهي حامل فشق علي طلاقها لأجل الحمل، فشاورت سيدي العبدلي في طلاقها فقال لي: طلقها تسترح، ثم شاورت سيدي سعيد** (**المقري**)، **فقال لي مثل ذلك، فحين ذكرت له الحمل توقف، فشاورت سيدي محمد** (**ابن مريم**) **فقال لي: يا أخي الصبر خير لك، ومولانا يخلصك منها إن شاء الله؛ فاطمأن قلبي لكلامه؛ فلما وضعت حملها إذا به ميت؛ فحمدت الله؛ ففارقتها وقصدته بالزيارة؛ فحين رآني قال: الحمد لله رب العالمين**» (البطوئي، 2000، ص: 32).

2.3.2. تراجعه في الزواج ـ للمرة الثانية قبل البناء*** ـ

يبدو أن البطوئي لم يكن مستقر في حياته الزوجية، فنجده للمرة الثانية يستشير أحد علماء تلمسان في أمر فتاة يريد أن يسرحها بعدما خطبها وأنفق عليها مالاً، وكان هذه المرة عالم ولهاصة**** أبو العباس أحمد الولهاصي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، إذ جاءت تفاصيل هذه القصة في معرض حديثه عن هذا العالم، وهو يقول: «(...) **ومنهم السيد الخمول صاحب المكاشفات ومعدن البركات سيدي أحمد الولهاصي رحمه الله تعالى ورضي عنه. أتيته مرة لأستشيره في تزويج امرأة قد كنت أخطبها وأنفقت في شأنها دراهم. فلما جلست بين يديه قلت له: أتيت لمشورتك. فقال قبل أن أقول له شيئا وأنا ما رأيته، قال الله يخلف لك. فقلت لا أتزوج أبدا. قال: لا، بل تنح عن هذه فقط وستأتيك أخرى إلى الدار فكان كذلك. فسبحان من نور أسرارهم وصفى أكدارهم وجعل أمثالنا كحمار السانية يدور مغلقة عيناه مكبلا محسرا**(...)» (البطوئي، 2000، ص: 23).

2.4. عصره

2.4.1. الإزدهار الثقافي في المغرب الأقصى على عهد السعديين

عاصر البطوئي الحركة العلمية الراقية التي انتشرت

في المغرب الأقصى وحواضره العتيقة كفاس ومكناس ومراكش وغيرها...، زمن السلطان السعدي أحمد المنصور (ت1012هـ/1604م) *****، والتي كانت وليدة مختلف الإصلاحات السياسية والعسكرية والثقافية والعمرانية التي أقامها هذا السلطان. كما عاصر أيضا الفتنة التي دبت في البيت السعدي بعد وفاة السلطان المذكور بين أولاده الأمراء، والتي ترتبت عنها حملات عسكرية أجنبية، شهد على إثرها المغرب الأقصى ركودا اقتصاديا وانطواء اجتماعيا جرَّاء الحصار الأجنبي على مراكزه الاقتصادية في السواحل الأطلسية والمتوسطية.

2.4.2. هستيريا القلق السياسي والاجتماعي في تلمسان وتداعياته على الحركة الثقافية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م

أما في تلمسان فإن الفترة التي قضاها البطوئي في هذه المدينة، شهدت هي الأخرى فتنا داخلية وتحرشات خارجية. فعلى المستوى الداخلي تمثلت هذه الفتن في مجموعة من القلاقل السياسية بين سكان تلمسان وحكامها الأتراك تجسدت مظاهرها بعد فترة غير بعيدة من ارتحال البطوئي إلى مسقط رأسه بتيزي عدنيت. أقول؛ تجسدت في شكل ثورات سياسية على الحكام الأتراك، مثل ثورة أهل تلمسان على القائد التركي محمد بن سوري مع سنة 1035هـ/1625م (ابن الصائم، (دت)، ص: 357)، واستمرت هذه التمردات حتى النصف الثاني من ثلاثينيات القرن المذكور، أين نشبت ثورة أكثر عنفًا من الأولى، أتت على الأخضر واليابس رغم توسط ثلة من العلماء أمثال ابن الصائم التلمساني (كان حيا سنة 1066هـ/1656م)، والعالم سيدي العبدلي التلمساني (ت 1035هـ/1625م)، فإن الثائر محمد بن أحمد السوسي******، قد ثار من جديد كما تم ذكره للتو مع سنة 1037هـ/1626م، فضلاً عن ثورة سكان قرية عين الحوت المماثلة للثورة الأولى والثانية، وغيرها من الثورات التي كانت رافضة للحكم التركي، ممَّا كانت تداعياته سلبية على النشاط الثقافي بتلمسان خلال القرن 11هـ/17م.

وعلى المستوى الخارجي فإن الجزائر قد تعرضت في عهد الباشوات للكثير من الحملات الإسبانية والفرنسية العسكرية، حيث تعرضت الجزائر لحملة اسبانية رابعة على عهد "**الباشا سليمان**" سنة 1010هـ/1602م، واشتداد التنافس بين فرنسا وبريطانيا وهولندا من أجل الحصول على إمتيازات استثمار المرجان عبر السواحل الجزائرية وحق إقامة المحارس العسكرية لحماية سفنهم التجارية، ما جعل هذه المرحلة أقل ما يُقال عنها، أنها كانت مرحلة حرجة جدا ليس في إيالة الجزائر وإنما في كامل عُدوة المغرب العربي -، والتي لم تكن في أي حال من الأحوال لتخدم رجال العلم والمنقبين عنه من العلماء خلال القرن 11هـ/17م.

5.2. تعليمه في الريف الشرقي ـ مسجد تيزي عدنيت ببَطوِيَة ـ

لقد اِلتف الشيخ البطوئي، حول الكثير من أهل العلم، سواء في مسقط رأسه بالمغرب الأقصى أم في موطن هِجرته بتلمسان، وما يهمنا تبيانه أولاً فيما يخص تكوينه العلمي، هو إلقاء بعض الأضواء على البدايات الأولى التي تتلمذ فيها البطوئي وقضاها في المسجد الذي شيده والده ببَطوِيَة قبل التحاقه بفاس في عام 1003هـ/1593م. وهي المدة التي استوفى فيها تكوينه الأولي على يد أربعة من شيوخه الرئيسيين. نستعرضهم حسب الترتيب الزمني الذي درج فيه ذلك التكوين، فيما يلي:

ـ الشيخ أحمد الفلالي:

حل الفيلالي في مسجد تيزي عدنيت الذي أسسه والد البطوئي قبل عام 996هـ/1588م، وحظي بإشادة علمية راقية، حيث قال عنه: «(...) **بلاد بطوية** (...) **وأقام بها مسترشدا لدين الله ما شاء الله**» (البطوئي، 2000، ص: 46). وكانت إقامة الشيخ الفيلالي بالمسجد مناسبة لتوافد الطلبة عليه، إذ نجد منهم الراسيين والبوحسانيين وهؤلاء من بني سعيد، ومن وردان بني أولشك ومن بني قوزين وبطيوة، ولم يحن دور البطوئي للأخذ عنه إلا فيما يقارب سنة 996هـ/1588م، حينما كان فعلاً في مستوى يمكنه من استيعاب بعض مبادئ العلوم الدينية، ولم يكن بعد تجاوز مرحلة الحفظ الظاهري للقرآن الكريم (الفكيكي، (دت)، ص:4).

ولما كان مقام الفيلالي ببَطوِية طويلاً، حيث امتد إلى ما بعد بداية القرن 11هـ/17م، فإن البطوئي يكون قد درس على يده لا محال، وحتى بعد مغادرة البطوئي لموطنه في أول رحلة علمية إلى مدينة فاس، فقد ظل الشيخ بالمكان إلى أن انتقل منه إلى بني بوزرة بالريف الغربي (الفكيكي، (دت)، ص:5).

ـ أحمد بن إبراهيم بن أحمد الراسي (ت 1039هـ/1629م):

عالم من أبناء بني سعيد الراسيين، وهو ممَّن استهواهم الإغتراب طلبا للعلم، فبعد أن قرأ على المحدث أحمد الفجيجي بتازا، إنتقل إلى تلمسان، حيث «**أقام متغربا سنين حتى تفقه في كل فن**» (الفكيكي، (دت)، ص:5). وعاد إلى بلدته في سنة 996هـ/1586م (الفكيكي، (دت)، ص:5). تأثر البطوئي بعودة الشيخ الراسي تأثرا لم يخفِ عنا، وقد صادف رجوعه في وقت كانت رغبة البطوئي شديدة في التعلم، ولم يكن هو الوحيد في الساحة، ممَّن عبر عن الشعور نفسه، فهذا هو ما يفسره الإقبال المتزايد على مجلس الشيخ أحمد مدة طويلة تستمر إلى وفاته. وبالنسبة للبطوئي كان رجوع أحمد الراسي إلى القبيلة نصرًا وفتحًا كبيرين للمتعلمين، بما جاء به من مختلف العلوم، وبما تحلى به من النصح في التدريس (الفكيكي، (دت)، ص:5).

ـ الشيخ أحمد السوسي:

من حسن حظ البطوئي أن مسجد تيزي عدينت كان أواخر القرن 10هـ/16م، نقطة جذب لشيوخ العلم الغرباء وستربطه علاقة وثيقة بالوافد الجديد على المسجد، المدعو أحمد بن أبي بكر بن جعفر السوسي استمرت لعامين على ما يبدو، إذ أن مرور الشيخ ببني سعيد كان ظرفيًا فقط. لما اعتزم عليه من التوجه إلى الديار المقدسة للحج (المعلمة، 2008، ص: 1273). حل أحمد السوسي بالمسجد في 998هـ/ 1590م، وأبدى به البطوئي إعجابا كبيرا، مصدره منبعث من استساغته لطريقة التدريس

التي حازت كامل رضاه، ومن هذا الباب يقول عنه: «**ما رأت عيناي أعرف منه بتدريج المتعلمين وسياسة المتفقهين. يؤدب الكبير والصغير**» (البطوئي، 2000، ص: 44). فهو لذلك كان معلمًا للقرآن، خفيف اللسان به، مع الإتقان به لصغار الطلبة، الذين كان منهم البطوئي، زيادة إلى كونه مدرسًا متميزا للفقه بالنسبة للكبار، وهذا يتفق مع ما أخذه عنه البطوئي، فقد قرأ عليه القرآن «**برواية ورش عن نافع**» مع ما تسمح له به سنه من تعلم مبادئ الفقه (المعلمة، 2008، ص: 1273).

ومن جهة أخرى فإن الشيخ السوسي كان هو أيضا شديد الإعجاب بنباهة تلميذه، لما ترسم فيه من قابلية مبكرة نحو التحصيل، وبلغ الأمر بالأستاذ أن حبذ للبطوئي مرافقته إلى الحج، ولم يقف دون تلك الرغبة سوى اعتراض صارم من طرف أمه، وبالفعل فإن أحمد السوسي غادر للمسجد لتحقيق أمنيته الأولى في مستهل القرن 11هـ/17م. واستخبر البطوئي بعد ذلك أنه توفي بإيالة الجزائر (المعلمة، 2008، ص: 1273).

ـ علي وارث الفاسي:

تعددت جوانب تقدير عيسى البطوئي لشيوخه، ويستند تقديره للشيخ علي وارث إلى قرابته أولاً، فهو ابن عمة له، وإلى تتلمذه عليه ثانيًا، ولكن معظم ذلك التقدير جاء فيما بعد من تشجيعاته له على الكتابة والتأليف (الفكيكي، (دت)، ص:6).

كانت لأبي على علاقة ببني سعيد وبأسرة محمد الراسي والد البطوئي، ولا يستنتج هذا من القرابة الأسرة فحسب على ما قدمه لنا الباحث الحسن الفجيجي، بل من أن عليًا تتلمذ على الشيخ عيسى بن إبراهيم إيزانسني، أحد طلبة أحمد بن عبد الله المديني والبطوئي، سواء كان هذا الأخير بوردان أو بتيزي عدنيت (الفكيكي، (دت)، ص: 6).

6.2. مكانته العلمية بين بَطْوِيَة وفاس ـ الرِّحلة الأولى ـ

تُلتمس مكانة البطوئي في هذا الطور الأول من التكوين ببلدته على يد شيوخه الأربعة، إعتمادًا على ما التقط من تصريحاته هو وعلى ما اقتبسه المؤرخون المغاربة من إشارات، بتتبع خطوات دراسته بفاس وتلمسان، وبناء على ذلك ـ أقول ـ لوحظ أنه كان قد ختم القرآن مع الحرص على عدم نسيانه، وأنه من جهة أخرى كان قد شرع في تعلم القراءات القرآنية، ويسعى جاهدًا للتمكن فيها (حجي، 1978، ص: 456). وبتقييم هذه الحصيلة، نجد أن كل ذلك كان بمثابة التكوين التقليدي الأساسي بالبادية المغربية، ذلك التكوين الذي يفرض نفسه على الطلاب سواء كانوا في الراغبين في التوقف، أو من الذين يطمحون في الإستمرار، كما كان شأن عيسى البطوئي، ومن أجل طموحه وجدناه يقرع باب تعلم مبادئ العلوم الدينية الأساسية، استعدادًا لاقتحام مجالس شيوخ الأمصار، سيما وأن أحمد السوسي كان قد غادر القبيلة بعد أن أيقظ فيه حماس مغادرة منزله، وليس ببعيد أن يكون علي وارث وأحمد الراسي وأحمد الفيلالي، ممَّن شجعوه على الخروج من بلدته إلى مدينة فاس حوالي سنة 1003هـ/1593م، حسبما ذكر البطوئي في مُؤلفه (الفكيكي، (دت)، ص:7).

غير أن هذه الرِّحلة لم تدم كما كان يتمناه، فمكوثه بفاس لم يزد على ثلاث سنوات، جلس أثناءها للشيخ حسن بن محمد الدرعي الدراوي، ليختم عليه ختمة واحدة من القرآن، ويتعلم عليه مزيدًا من النحو والفقه. ولم يذكر لنا البطوئي أحدا غير الدرواي من العلماء، إذ أنه غادر المدينة قبل وفاة شيخه بالوباء عام 1006هـ/1596م، وقد يكون ظهور هذا الداء سببًا من أسباب تقصير مدة تلك الزيارة، وقصر تلك المدة هو الذي جعل من هذه الرِّحلة صورة لا تختلف عن مرحلة تكوينه الأولي ببلدته (المعلمة، 2008، ص: 1273).

7.2. مؤلفاته

إن مثل هذا العالم الذي لُقبَ بشيخ الفقهاء الرَحالة ببَطْوِيَة في القرن 11هـ/17م، لا بد وأنه ترك ثروة علمية قيمة، ضَمنتها بعض المصادر التي ترجمت له، والعلماء الذين نقلوا عنه في كتبهم، والذين احتفظوا لنا بأسماء بعضها، ومن أهم مؤلفاته: نذكر على سبيل المثال لا الحصر «**مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح**» الذي خصَّصه لرحلته إلى تلمسان ولقائه بعلمائها، وفقهائها، ومشيختها، في الفترة الممتدة بين 1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م، حيث سَجل كل ما شاهده ووقع له من احتكاك علمي وفكري مع علمائها، سواء داخل قلب المدينة أو في أريافها ومداشرها، وبالتفصيل رَاحَ يسرد كل الجلسات العلمية التي تتلمذ فيها على يد هؤلاء الأعلام، مشيرًا إلى خِصالهم الخُلقية، وأوصافهم الخَلقية، وأساليبهم ومناهجهم في التدريس، غير مُهمل للمؤسسات التعليمية التي كانت نشطة في ذلك الوقت.

8.2. تصوفه

إن البطوئي نموذج من العلماء الذين وهبوا كفاءاتهم وعلمهم لتوعية البوادي الريفية، بما عزم عليه من محاربة البدع المنتشرة آنذاك بالبادية، ومن الوقوف في وجه كل من سولت له نفسه بانتحال التصوف عن جهل أو اعتقاد منحرف. وقد تبلورت هذه الفكرة في ظهور مؤلفه «**مطلب الفوز والفلاح**».

وعن الطريقة التي سلكها في تصوفه، فإنه قد لبس ثوب الشاذلية، استنادًا لما استنبطناه من تصريحه هو في هذا الشأن، وهو ينسب نفسه لشيخه عطاء الله السكندري أحد أقطاب الشاذلية، بقوله: «(...) **كان فقيه في علم التصوف**، (...) **قيل له من شيخك في التصوف؟ فقال: ابن عطاء اللّه، قيل له: وهل أدركته؟ أنت متأخر وهو متقدم؛ فقال: نعم، قرأت الحكم وقرأت ابن عباد شارحها؛ فهو شيخي بلا شك ولا ريب** (...)» (ابن مريم، 2014، ص: 144).

وقد كانت للبطوئي وظائف كثيرة وأدعية، وحكايات للأولياء، خاصة من أهل تلمسان الذين أوردهم في مؤلفه «**مطلب الفوز والفلاح**». حيث جعل هذه المدينة مكانًا لتعبده، وبقعة صوفية للخُلوَة بربه، لما كان يتعبد في ابتداء أمره في مسجد ستي الوصيلة بهضبة لالة ستي، وبعد ذلك انتقل إلى غيران بوهناق******* (القاسمي، 2005، ص: 362 ـ 363) غرب تلمسان، وكان حسب ابن مريم كثير الأوراد الصوفية، وكلامه كله منصب في الخوف والمراقبة وأحوال

الآخرة، وكانت مجالسه لا تخلو من ذلك بتاتا.

ولقد أشار البطوئي إلى جملة الشيوخ الذين لازمهم في الطريقة الصوفية من أهل تلمسان، وفي مقدمتهم أبو زيان بن أحمد التلمساني الجرائي (القرن 11هـ/17م)، الذي حلاّه بتحلية علمية تَنِم عن الوقار، والأبهة العلمية التي وصل إليها هذا العالم التلمساني، وهو ما سَوَّدَ له البطوئي الخط بالقول: «(...) **وقد كان رضي الله عنه اشتهر بتلمسان اشتهارا لا يحتاج إلى تعريف، ومناقبه مشهورة عند الخاص والعام** (...)» (البطوئي، 2000، ص: 23)، وأضاف يقول بشأن ما لقطه من تصوف على يد هذا العالم بقوله: «(...) **وسبب اجتماعي به رضي الله عنه** (...) **أني كنت بجبل ترارة بمدشر حجاجة، وذلك بعد خروجي من تلمسان واجتماعي بها بالشيخ أبي زيان، فاجتمعنا هناك بفضل الرب الكريم والإحسان**، (...) **واتصلت الحمد لله أرحامنا، ويخبرني عن جملة مرائيه**، (...) **ورأينا بحمد الله لذلك بركة عظيمة وسرى سر ذلك لقلوبنا اللئيمة فرمقنا محاسن تلك الطريقة وتحلينا منها بمجرد الوصف لا بالحقيقة**» (البطوئي، 2000، ص: 43).

9.2. وفاته

توفي الشيخ البطوئي على ما يظهر بمدشر تيزي عدنيت ببني بوسعيد، بعد سنة 1046هـ/1636م (المعلمة، 2008، ص: 1273).

3. تمظهرات الحركة العلمية والفكرية في تلمسان ما بين 1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م، على ضوء رحلة البطوئي

1.3. وصف عام لكتاب رحلة البطوئي "مطلب الفوز والفلاح"

إن كتاب "**مطلب الفوز والفلاح**" هو مؤلف في التصوف والتعريف برجالاته العلماء، حيث أكد الحسن الفجيجي من جانبه كمحقق لهذا التأليف أنه إذا كان عبد الحق البادسي قد اعتنى بتسجيل صورة عن التصوف وأعلامه بالريف الشرقي خلال الفترة المتراوحة بين القرنين السادس والثامن الهجريين، فإن عيسى بن محمد بن يحيى الراسي قد أتحفنا بعد قرنين ونصف، بمؤلف آخر له اتصال وثيق بما استعرضه البادسي، أسماه "**مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح**"، إذ انتهى منه على ما يبدو في منتصف القرن 11هـ/17م، سَوَّد فيه الخط عن أصول التصوف وقواعده، على نهج لا يبتعد عن المعهود في تأليف من سبقه من أهل هذا الفن.

هذا ويضيف المؤرخ المغربي الحسن الفجيجي، أن هذا الكتاب ليُعدّ بحق الإنتاج الوحيد في موضوعه المتعلق بتاريخ الريف الشرقي، فهو بذلك مصدر له أهميته للباحث في مراحل الحركة الثقافية ودورها في توعية البوادي المغربية. فمن بين الأبواب الثمانية التي تؤلف صفحات المجلدين لهذا التأليف، يسترعي انتباه الدارس لتاريخ المنطقة، محتوى البابين السادس والسابع، إذ أنهما يشغلان حيزا بارزا من المجلد الثاني، ويبدو أنهما احتلا مكانة خاصة في نفس عيسى البطوئي. ومن السهل علينا أن نقف على مدى أهميتها فالبابان يحملان بين طياتهما شهادات عديدة، دالة على مساهمة رجال الريف ببطوية للحفاظ على أصول الثقافة الدينية بالبوادي المغربية.

ولعل محقق الكتاب الحسن الفجيجي أضحى وحدة في مضمار التعريف بصاحب الرِّحلة والإهتمام أكثر بملابسات تأليف البطوئي لهذا المؤلف، بفضل عمل المحقق في استنتاج واستنباط العديد من الملاحظات المهمة المتعلقة بتاريخ التأليف وأسباب التأليف ومنهج وأسلوب التأليف، فضلاً عن ثقافة الرحالة التي انعكست بشكل كبير على طريقة التدوين التاريخية ـ الإستريوغرافية التاريخية الرِّحلية ـ ما جعل إسهام الحسن الفجيجي في ميدان التطرق لمثل هذه الرحلة النادرة في مكانها وزمانها، مساهمة جادة ورصينة، في التعريف بالعلماء الرحالة وأدوارهم في ربط التواصل الثقافي بين حواضر المغرب الأقصى وتلمسان، بذكر العلماء الذين لم يتطرق لهم في أي نوع من المصادر الأخرى، وهو ما لمح له محقق هذا التأليف وهو بصدد تقديم صورة عن الرِّحلة، حيث قال أن رحلة البطوئي قد ركزت على عدد من تراجم أهل العلم بالريف الشرقي بمنهاج، يتميز بهما البابان السادس والسابع في المجلد الثاني من التأليف عن طابع باقي الأبواب الستة الباقية، التي غدت مجرد تسلسل تقليدي لجملة من القضايا الدينية المتداولة كالتصوف وعلوم الفقه وأصول بين تلمسان والرف الشرقي وفاس.

وممَّا سبق ذكره، فإن البطوئي قد اعتمد في تقسيم مؤلفه إلى أبواب، كل باب خصصه لجانب من رحلته، سواء داخل المغرب الأقصى أم خارجه بتلمسان. وجعل غالبية الأبواب الأولى من رحلته تنحصر في المجلد الأول، ذكر فيها مسار رحلاته الذاهبة والآيبة من وإلى الريف الشرقي صوب تلمسان. جاعلا الوعاء المعلوماتي للمجلد الأول يخص التاريخ العلمي والفكري لحاضرة تلمسان خلال العقود الأولى من القرن 11هـ/17م. على ما أكده الكتاني هو الآخر حيث ذكر أن هذا المؤلف تضمنت أوراقه جزءا كبيرا من تاريخ الحركة العلمية والفكرية بتلمسان وأعلامها العلماء، فالتأليف على حسب قوله يهم الدارس الجزائري أكثر لتاريخه الثقافي لا المغربي.

2.3. نمط الرحلة عند البطوئي ومسارها

تندرج رحلة البطوئي ضمن الرِّحلات العلمية الاثنوغرافية********، التي يمكث فيها صاحبها للافادة والإستفادة العلمية عند شيوخ وعلماء المنطقة المرتحل إليها لأكثر من ثلاث سنوات، وهي قاعدة في الرِّحلات تجعل من أي رحلة كانت، ولأي أسباب دافعة لها أن تقفز لهذا النوع الهام من الرِّحلات، التي عادة ما يكون الوعاء المعلوماتي في محتوياتها دسمًا ودقيقًا لطبيعة الاتصالات المباشرة لصاحب الرحلة مع نظرائه العلماء وعامة الناس، فيُدون معلوماته بوصف مباشر، وهو يؤرخ لطبائع الناس الذين تعايش معهم.

وعن مسار هذه الرِّحلة، فقد كانت الإنطلاقة من قرية تيزي عدنيت إلى تلمسان مباشرة، على مرتين، أي ضِمن رحلتين علميتين، حيث كانت رحلة عيسى البطوئي إلى المدينة

المذكورة حدثًا رئيسيًا في حياته الشخصية، ومرحلة إيجابية في مجال تكوينه العلمي، بفضل احتكاكاته بالعديد من رجال العلم بحاضرة الغرب الجزائري (الفكيكي، (دت)، ص: 8).

3.3. بدايات تواجد الشيخ البطوئي في تلمسان

وحتى يتسنى لنا تحديد تاريخ التحاقه بتلمسان إستعنا بالبيانات الواردة في مؤلفه من اتصاله بالشيخين سعيد المقري********* المتوفى عام 1010هـ/1600م. ومحمد عاشور بن علي الجاديري التلمساني المتوفى عام 1014هـ/1604م، حيث يتبين بالقياس إلى التاريخين المذكورين أن دخول البطوئي إلى تلمسان لم يتأخر كثيرًا عن مغادرته لمدينة فاس. ويؤكد هذا ما حكاه عن مناسبة جمعت بينه وبين صديقه أحمد بن ونيس الحلافي التلمساني بجبال ترارة**********، في الغرب الجزائري إثر مغادرته لتلمسان التي كان قد دخلها قبل ذلك واجتمع فيها بالشيخ أبي زيان بن أحمد التلمساني (القرن 11هـ/17م)، المعروف بالجرائي، حيث لا نعرف الأسباب التي ألجأت عيسى البطوئي إلى مغادرة قلب مدينة تلمسان في اتجاه مدشر ترارة، إذ ربما كان ذلك بحثًا عما من شأنه أن يساعد على تجاوز ظروف العيش قريبًا من الحاضرة العلمية المبتغاة لديه على ما استنتجه المؤرخ المغربي الحسن الفجيجي.

وفي خِضمِّ ذلك، سجلت لنا هذه الرِّحلة مراسلات تبودلت بين رفيقه أحمد بن ونيس الحلافي والشيخ سعيد المقري، يلتمس فيها الأول من مفتي الديار التلمسانية بطريقة غير مباشرة الاستجابة لرغبة التتلمذ عليه، فكانت فرحة الرفيقين عظيمة حين أجاب المقري بما يطمئن الحلافي، وذلك بتاريخ 15 ربيع الأول عام 1008هـ/1598م.

وبالطبع فإن موافقة سعيد المقري كانت تعني عيسى البطوئي أيضا، وربما كانت الكتابة بإيعاز منه، فنراه يقول: «**فلما بلغني جوابه فرحت فرحا شديدًا**» (البطوئي، 2000، ص: 24)، ولذلك غادر قرية حجاجة، برفقة صديقه أحمد الحلافي في اتجاه تلمسان، لتكون هذه الزيارة هي الثانية بالنسبة إليه، وستختلف عن الأولى بطول مقامها وبنتائجها الحميدة المترتبة عن تعدد شيوخه التلمسانيين الذين اتصل بهم بمعية رفيقه (الفكيكي، (دت)، ص:6).

إن سنة 1008هـ/1600م، هي تاريخ التحاقه الثاني بتلمسان. وهناك دليل آخر يؤكد لنا وجود عيسى البطوئي بتلمسان قبل 1012هـ/1602م، وهو تاريخ وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي (ت1012هـ/1602م). ذلك أن البطوئي طلب من شيخه محمد عاشور الجاديري التلمساني التدخل لصالحه لقضاء حاجة من لدن المنصور.

4.3. شيوخ البطوئي من تلمسان

تألفت قائمة البطوئي بتلمسان من تسعة عشر شيخًا من مختلف الكفاءات، وهو عدد يتناسب مع المدة الطويلة التي قضاها بالمدينة المذكورة، نقدر أنها امتدت لمدة 17 عامًا، ولا نعرف عن شيوخ البطوئي التلمسانيين سوى القليل مما ترجم لهم في بقية المصادر الخاصة بالقرن 11هـ/17م، أو القرون التي تليه، عدا ما أفادنا به عنهم من الأخبار النادرة باستثناء معرفتنا للمقري وابن مريم الأب؛ إذ هنالك شيخان أدركهما في آخر عمرهما أول دخوله إلى تلمسان مكتفيًا بالقول إنه تبرك بالجلوس معهما. أولهما المدعو محمد أبركان التلمساني (القرن 11هـ/17م)، الذي قال عنه إنه بلغ القطبانية**********، وهي أعلى مراتب التربية الصوفية. وثانيهما هو السيد عامر التلمساني (القرن 11هـ/17م)، أحد رفقاء ابن مريم في الأخذ عن محمد بن داود العطافي التلمساني (القرن 11هـ/17م) (الفكيكي، (دت)، ص:6).

هذا إلى جانب اثنان آخران اعتقد عيسى البطوئي، عِلاوة على ملازمتهما العلمية أنهما اختصا بمكاشفات********** صدقت لديه، حسبما دلت عليه تجربته معهما. فهذا عاشور الجاديري التلمساني (ت 1014هـ/ 1604م) **********، نهاه عن طلب ما كان راغبا فيه من أحمد المنصور الذهبي بواسطته، مظهرا له أن طلبه مندرج في مرتبة الرعونات البشرية، أما الثاني فهو الشيخ أحمد الولهاصي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، الذي رده عبر فتوة منه عن إقدامه للتزوج بامرأة معلومة كان قد أقبل لاستشارته في شأنها (الفكيكي، (دت)، ص:6) ـ كما سبق ذكره ـ. وتألفت باقي قائمة شيخ عيسى البطوئي من علماء تلمسانيين اشتهروا بباعهم في التدريس، ولم يتوان بإخبارنا عن مختلف المواد التي قرأها عليهم. ففي هذا المضمار اتصل بسعيد المقري منذ البداية التي حل فيها بتلمسان، ويقول عنه: «**حضرت عنده عقيدة السنوسي الكبرى إلى ختمها**» (البطوئي، 2000، ص: 24). وللغاية نفسها حضر مجالس الشيخ محمد الغشوي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، بعد وفاة المقري عام 1010هـ/1600م، على ما يظهر، ولازم مجلسه لمدة غير يسيرة كما لاحظ هو نفسه. حيث قال عنه: «**كنا نختم عنه مختصر خليل والرسالة الألفية كل شتوة مع مداومة عقائد السنوسي، يجلس للإقراء من الصباح إلى الزوال**»(البطوئي، 2000، ص: 24).

وممَّن نال تقدير البطوئي الشيخ محمد المستيري التلمساني (القرن 11هـ/17م)، الذي كان حسب البطوئي، ورعًا، وزاهدًا، متفننًا في عدد من العلوم، حيث حضر جملة من دروسه بمسجد تلمسان ـ المسجد الأعظم على ما يبدو ـ إلى أن أصيب بمرض أقعده، مرغمًا إياه على لزوم داره وهو ما يزال في شبابه (البطوئي، 2000، ص: 28).

كما شهد بالكفاءة العلمية والولاية في الأمور الدينية لشيخه المفتي محمد البطحي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، أحد تلامذة ابن مريم التلمساني، لما قرأ عليه الألفية والعقائد (البطوئي، 2000، ص: 29).

وهناك مجموعة أخرى من شيوخ البطوئي اكتفى باستعراض

أسمائهم والتذكير ببعض الصفات الدالة على الإطراء والتقدير، فمن هؤلاء شيخه مسعود النابلي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، الذي كان في نظره كثير التواضع والمزاح مع الأصحاب ـ علماء تلمسان ـ، وشيخه عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، صاحب ندرومة، وابنه محمد، ثم السيد إبراهيم التافلتي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، وابنه صالح التلمساني (القرن 11هـ/17م)، وأبو شامة التلمساني (القرن 11هـ/17م)، ومحمد بن يحيى المطغري التلمساني (القرن 11هـ/17م).

وعن جمهور تلمسان من العلماء الذين أسهب في تعريفهم والترجمة لهم البطوئي في الرِّحلة، نذكر نماذج منهم في الموالي:

ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن المرابط بن ونيس الصحراوي الحلافي التلمساني (القرن 11هـ/17م):

المعروف بابن ونيس، وعلى حسب البطوئي فإنه كان من أبرز شيوخ تلمسان الذين كانوا يقومون بالصلح بين عامة الناس والقبائل، إذ قال عنه في هذا الصدد: «(...) ما رأيت عيناي خلقا ولا خلقا وانصافا للحق (...) واجتهادا في اصلاح ذات بين المسلمين» (البطوئي، 2000، ص: 24).

ـ أبو زيان بن أحمد التلمساني الجرائي (القرن 11هـ/17م):

درس على يد ابن ونيس، وقال فيه البطوئي ما نصه: «(...) **وقد كان رضي الله عنه اشتهر بتلمسان اشتهارا لا يحتاج إلى تعريف، ومناقبه مشهورة عند الخاص والعام** (...)» (البطوئي، 2000، ص: 25)، وأضاف يقول عنه: «(...) **وسبب اجتماعي به رضي الله عنه** (...) **أني كنت بجبل ترارة بمدشر حجاجة**، (...)، **فاجتمعنا هناك بفضل الرب الكريم والإحسان**، (...) **واتصلت الحمد لله أرحامنا، ويخبرني عن جملة مرائيه**، (...) **ورأينا بحمد الله لذلك بركة عظيمة وسرى سر ذلك لقلوبنا اللئيمة فرمقنا محاسن تلك الطريقة وتحلينا منها بمجرد الوصف لا بالحقيقة**» (البطوئي، 2000، ص: 26).

ـ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد الراسي التلمساني (القرن 11هـ/17م):

أحد علماء المغرب الأقصى الذين ارتحلوا إلى تلمسان وتعلموا فيها، حيث ذكر ذلك البطوئي بقوله: «(...) **ثم انتقل بعده لتلمسان فاقام بها مغتربا سنين حتى تفقه في كل فن رضي الله عنه**» (البطوئي، 2000، ص: 29).

ـ أبو العباس أحمد الولهاصي التلمساني (القرن 11هـ/17م):

من علماء تلمسان وفقهائها من أهل الفتوى والإفتاء، والذي ورد ذكره بشيء من الإسهاب في الرِّحلة ـ على ما ذكرناه سابقا ـ، إذ قال فيه البطوئي في زاوية أخرى من مؤلفه: «(...) **ومنهم السيد الخمول صاحب المكاشفات ومعدن البركات سيدي أحمد الولهاصي رحمه الله تعالى ورضي عنه**(...)» (البطوئي، 2000، ص: 24).

4. بيوتات العلم الصغرى بتلمسان واسهاماتها الثقافية من خلال رِحلة البطوئي ـ بيت ابن مريم أنموذجًا ـ

1.4. مفهوم البيوتات العلمية

إن كلمة «البيوتات»، تدخل ضمن باب جمع الجمع: نحو **بيتٌ بُيوت بُيُوتَاتٌ، رَجُل رِجَالٌ رِجَالاتٌ** (الصيداوي، 1999، ص: 25)، ويجوز لنا استعمال بيوتات أو بيوت إذ يحتويان على المعنى نفسه تقريبًا. والبيت العلمي هو آصِرَة عائليّة، تضمّ مجموعة من العلماء الّذين ينتسبون إلى جدٍّ واحدٍ، تربط بينهم رابطة الدّم والأصل، كانت لهم إسهامات كبيرة ومميّز في الحفاظ على الإرث العلمي والفكري في تلمسان عبر مختلف العصور التاريخية (بومدين، 2021، ص: 585).

وقد أشار البطوئي إلى جملة من البيوتات العلمية الصغرى في تلمسان، أمثال: **بيت اليعقوبي، وبيت الجاديري، وبيت التافلتي...**، غير أنه خصَّص جزءا كبيرا من أوراق رحلته لبيت ابن مريم المليتي، الذي نزل عندهم على ما يبدو ضيفًا منذ وجودهم بحي باب علي********** بقلب مدينة تلمسان حتى غاية ارتحالهم لقرية الحناية**********

ومن علماء هذا البيت العلمي الذي اختص على ما يبدو في تعليم وتعلم علم القرآن، نذكر:

ـ أبو عبد الله محمد الشريف المليتي التلمساني (985هـ/1575م):

وهو والد ابن مريم صاحب "**البستان**"، والذي ورد ذكره في "**البستان**" على أنه: «(...) **كان معلما للصبيان في آخر عمره في المكتب، وتخرج عليه أولاد كثيرون يحفظون كتاب الله العزيز، وحين اقعده الكبر صار يقرئ الأولاد في داره، دخلت عليه في اليوم الذي توفي فيه، فوجدته يقول للأولاد: ارفعوا ألواحكم بارك الله فيكم** (...)» (ابن مريم، 2014، ص: 456). وأضاف يقول عنه: (...) **كان أبي يقرئ مع أحد أصحابه بالمكتب الوظيفة التازية والصغرى للشيخ السنوسي كل يوم**» (ابن مريم، 2014، ص: 456).

ـ أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة 1025هـ/1615م):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد المديوني ابن مريم التلمسانيّ، المليّتيّ نسبًا، المديونيّ أصلاً، من فقهاء المالكيّة، ولد ونشأ بتلمسان وتوفي بها (نويهض، 1980، ص: 288)، ودرس فيها على يد أبيه أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن محمد الشّريف المليّتي (ت985هـ/1575م)، فأخذ عنه اللّغة العربيّة، والفقه وفنونه، ثم رحل للمغرب الأقصى، وبعدها عاد لتلمسان، ليشتغل بالتّدريس خلفًا لوالده عام 985هـ/1575م (نويهض، 1980، ص: 288)، وفي هذا الصدد يقول ابن مريم في "**البستان**": «**ثم إن أبي مرض وقال لي: يا ولدي اذهب أقرئ الأولاد في المكتب، فذهبت ولم أعصه، وأقرات الأولاد خمسة أيام أو ستة، وعلمتهم فرائض الوضوء وسننه، وفرائض الصلاة وسننها، وفرائض التيمم وسننه، وفرائض الزكاة وسننها، وفرائض الصيام وسننه، وفرائض الحج وسننه، وقلت في نفسي لو ان أبي يتركني أعلم الصبيان، وقال لي: علمهم يا ولدي إن أردت أولادك يحفظون القرآن والعلم، علم الأولاد فإنه أحسن ما عندي، سمعت منه ذلك، وتماديت على ذلك، فتخرج علي والحمد**

لله بدعاء والدي وبركته أزيد من أربعين ولدا، كلهم يحفظون القرآن، وبعضهم علماء يدرسون العلم في كل فن من العلوم الظاهرة والباطنة، والحمد لله» (ابن مريم، 2014، ص: 32).

وأثناء عودته لتلمسان، إهتم ابن مريم بتقاييد الأخبار، وقراءة الشّروح الأدبيّة واللّغويّة، خاصَّةً منها شروحات النّوازل التلمسانيّة وغيرها، حتى أصبح مفتي تأتيه الفتاوى من العام والخاص على غرار ما ورد في رحلة البطوئي، حين سأله تلميذه حول مسألة الطلاق، وفي الآتي تفصيل عن هذه الفتوى على حد قول صاحب الرِّحلة، الذي كان قد نعت شيوخه كثيرًا بكلمة «سيدي»**********، التي كان يُلقب بها كل عالم مجاب الدعوة ويحظى بالرِّفعة العلمية والدينية عند سواد الناس وحتى أهل النخبة منهم من العلماء، وفي شأن ذلك يقول البطوئي: «(...) **فشاورت سيدي محمد (ابن مريم) فقال لي: يا أخي الصبر خير لك، ومولانا يخلصك منها إن شاء الله؛ فاطمأن قلبي لكلامه؛ فلما وضعت حملها إذا به ميت؛ فحمدت الله؛ ففارقتها وقصدته بالزيارة؛ فحين رآني قال: الحمد لله رب العالمين**» (البطوئي، 2000، ص: 32).

وفي إشارة من البطوئي لدرجات التبجيل العلمي في حق شيخه ابن مريم الذي بزق له العلم في أذنه**********، قال: «(...) **فما رأت عيناي قط مثله خلقا وخلقا وإنصافا وحرصا على العلم ورغبة في نشره واجتهادا في طلبه وإدمانا على تلاوة الكتاب العزيز**» (البطوئي، 2000، ص: 432).

كما لم يتوان البطوئي بتحلية شيخه في أكثر من موضع من زوايا تأليفه، وبقلم العرفان العلمي، لَمَحَ هذه المرة لمؤسسة ثقافية وعلمية هامة بتلمسان، وهو يسرد ويصف مسار ابن مريم من قلب مدينة تلمسان نحو مدشر الحنايا، حيث أورد الحديث عن مسجد الحنايا الذي لم يرد له ذكر خلال القرن 11هـ/17م، إلا عند البطوئي في مطلب الفوز والفلاح، على ما بأيدينا من معلومات شحيحة عن النشاط العلمي لهذا المسجد العتيق، في انتظار ما ستكشف عنه الوثائق والمصادر المخطوطة مستقبلاً، كون هذا المسجد كان منارة علمية صَدَّرت الفكر الإسلامي وعلمه إلى خارج تلمسان، فشهرته هذه أكسبته لا محال مكانة متقدمة في مجالات اقتناص الريادة في تلقين العلوم وانتقال الطلبة والشيوخ من الحواضر الإسلامية لهدف التتلمذ على يد شيوخ وفقهاء هذا المسجد الذي ذُكِرت أخباره في معرض حديث البطوئي عن الدافع الذي دفع بشيخه إلى الانتقال من سكنى باب علي بقلب مدينة تلمسان إلى قرية الحنايا؛ حيث يقول عن ذلك قبل تطرقه للمسجد: «(...) **وكان رضي الله عنه يأخذ مقدار زوج الأرض المعدة للحرث في بعض راتبه، فانتزعهما منه بعض الفقهاء، فغاظه ذلك، فرأى في منامه قائلا يقول له: أخرج من تلمسان في هذه الساعة لئلا تدخل في مخالطة فقهائها؛ فحين أصبح بقي متحرا إلى أن خرج (...)**» (البطوئي، 2000، ص: 432). إلا أن السبب المباشر الذي كان وراء انتقال ابن مريم إلى مسجد الحنايا يضيف البطوئي قائلاً أن سكان الحنايا طلبوا من إبن مريم أن يصلح بينهم، ويؤم بهم في مسجد قريتهم، حيث قال مترجمه في هذا الشأن: «(...) **فإذا بأهل الحناية أتوه ليصلح بينهم، وقد كان ارتحل إمامهم، فرغبوه أن يؤم بهم بمسجدهم، قال: فخطر بباله ما رآه في منامه؛ فأجابهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا فبقي بينهم حتى أتاه أجله**» (البطوئي، 2000، ص: 438).

وقد كانت للشهرة العلمية التي غدى عليها ابن مريم في تلمسان عمومًا ومدشر الحنايا خصوصًا أن لازمه عدد كبير من الطلبة والشيوخ التلمسانيين، وهو ما أشار له عيسى البطوئي باقتضاب حول أسماء مجموعة كبيرة من تلامذة ابن مريم، بلغ عددهم 32 فقيها من علماء تلمسان، ندرجهم في الجدول الموالي:

الجدول 01: **علماء وفقهاء تلمسانيين عاشوا خلال القرن** 11**هـ/**17**م.**

الرقم	العالم
01	أبو عبد الله محمد بن منصور الشرقي التلمساني
02	أبو عبد الله محمد بن يوسف الشرقي التلمساني
03	أبو عبد الله محمد الندرومي التلمساني
04	أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحداد التلمساني
05	موسى بن أحمد التلمساني
06	أبو عبد الله محمد بن سليمان الحجار التلمساني
07	أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني
08	أبو عبد الله محمد السابائي التلمساني
09	أبو عبد الله محمد البطحي التلمساني
10	أبو عبد الله محمد بن جلالة التلمساني
11	عمران الجراري التلمساني
12	أبو زكرياء يحيى القصيري التلمساني
13	أبو عبد الله محمد بن بوزينة التلمساني
14	أبو الحسن علي الفاسوسي التلمساني
15	أبو عبد الله محمد بن الحسن التلمساني
16	بوزيان بن رقية التلمساني
17	أبو عثمان سعيد البوخلفي التلمساني
18	أبو عبد الله محمد بن عامر العامري التلمساني
19	أبو العباس أحمد بن قيشة التلمساني
20	أبو العباس أحمد بن عمر الشريف التلمساني
21	أبو عبد الله محمد الولهاصي التلمساني
22	أبو زيد عبد الرحمن الندرومي التلمساني
23	أبو عبد الله محمد عشعاش الحناوي التلمساني
24	أبو اسحاق يعقوب الشابائي التلمساني
25	أبو عبد الله محمد رحمون الندرومي التلمساني
26	بختي بن أحمد بن بختي التلمساني
27	أبو عبد الله محمد بن بو محمد التلمساني
28	الحاج عبد الله المقري التلمساني
29	أبو عبد الله محمد بن أحمد الحناوي التلمساني
30	أبو سعيد عثمان الراشدي العطليف التلمساني
31	أبو عبد الله محمد الزنداري التلمساني
32	أبو حفص عمر بن عبد الرزاق التلمساني

المصدر: (البطوئي، 2000، ص: 43).

لقد خصَّ ابن مريم البطوئي بعنايته، وسرعان ما تطورت تلك العناية إلى صلة وثقى، دفعته إلى التصريح لابنه محمد الصغير، على حد قول البطوئي: «**إنك عندي وعيسى سواء (...) وإن عيسى عندي أرجح منك**» (البطوئي، 2000، ص: 57). وقد تكلم عيسى البطوئي عن سبب تلك الإلتفافة التي استحقها من شيخه، وهو يقول: «**كان رضي الله عنه شديد الحب إلينا ولأخينا أحمد بن ونيس، مهتبلا بشأننا، ظنا منه أن سيجئ منا شيء**» (البطوئي، 2000، ص: 67).

كما أشار البطوئي من جهة ثانية الغاية التي توخاها من تقربه إليه: «**ذلك أنني أتيته أريد التعلق بأذياله الزكية، والاقتباس من أنواره الطاهرة الجلية والاستنصار بهمته العالية والدخول في دائرته المحمدية، والانتساب لنسبته السنية، وأريد أن يكتب لي عهدا موفيا ليكون لحبل ولي به مقويا**» (البطوئي، 2000، ص: 77). وهو يقصد من هذا الإطراء الحصول على الإجازة**********
الصوفية من شيخه ابن مريم، إذ كانت هذه الإجازة طرحًا مفاجئا لشيخه، ممَّا أدى إلى انقباضه عنه مليًا، إلى أن تبين لابن مريم عدم وجود أي مبرر لذلك الإنقباض، فلم يسعه سوى تلبية المطلب وكتب له الإجازة، نصها في الآتي:

«**بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما، ليعلم من يقف على مكتوبنا هذا من أهل الدين والفضل والصلاح بأن الشاب الأمجد الأسعد، وفقنا الله وإياه لصالح العقل السيد الفقيه عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي، له ما لنا وعليه ما علينا، وهو من أولادنا ختم لنا الله وإياه بالحسنى وكلمتي الشهادة عند الممات تجاه النبي وآله وصحبه، فمن آذاه وتسبب في إذغيته فلا يلومن إلا نفسه وعلى الله المعتمد والتكلان. وكاتب الحروف عبيد الله سبحانه أصغر عبيده محمد بن محمد بن مريم الشريف المليتي، كان الله له وليا ونصيرا مسلما على من يقف عليه**» (البطوئي، 2000، ص: 66).

والواضح أن الفقيه المجاز بادر إلى مغادرة تلمسان إثر توصله بالاعتراف العلمي من شيخه اتجاه منزله بتيزي عدنيت بني سعيد.

وإذا اقتفينا اثر البطوئي بعد ذلك في بلدته يتبين لنا أنه شد رحاله مرة أخرى لقطع المراحل نحو تلمسان ومدشر الحنايا بمجرد ما بلغه خبر وفاة شيخه المليتي، حيث استخبر هناك أن الشيخ تفقده حينما دنا منه أجله وتمنى حضوره، إذ قال لابنه محمد الصغير: «(...) لو كان عيسى البطوئي وأحمد بن ونيس ما غسلني غيرهما» (البطوئي، 2000، ص: 68).

ـ أبو عبد الله محمد ابن مريم الصغير التلمساني (القرن 11هـ/17م):

كما أشار البطوئي في رحلته العلمية إلي سليل ابن مريم الأب، سيدي أبو عبد الله محمد ابن مريم الصغير التلمساني (القرن 11هـ/17م)، الذي كان على لسان البطوئي فقيه عالمًا ووليًا صالحًا، وفي شأن ذلك ذكر يقول: «(...) **ابنه السيد الفقيه العالم النبيه السيد المولى الأنبر سيدي محمد ابن مريم الصغير. نفعنا الله ببركتهم وحشرنا في زمرتهم** (...)» (البطوئي، 2000، ص: 72)، إلى جانب كونه قد ورث حب المطالعة من والده، حيث أردف البطوئي في ذلك القول الآتي: «**وكان كثير المطالعة للكتب**» (البطوئي، 2000، ص: 47).

2.4. التلاقح الفكري والعلمي بين مدشر الحنايا وقرية تيزي عدنيت

لقد وردت في هذه الرِّحلة علاقة علمية عضوية كانت قد نشأت بين مدشري تيزي عدنيت ببَطويَة والحناية بتلمسان، ممَّا كان له الأثر على تبني مسجد بني سعيد للاتجاه الصوفي التلمساني الذي جسده ابن مريم ومثله عيسى البطوئي بالريف الشرقي (الفكيكي، (دت)، ص:6).

وتوضح الفِقرَة المقتبسة من مطلب الفوز والفلاح هذا التواصل بين المركزين بجلاء، حين قال البطوئي: «**قد من الله علينا بملاقاة الشيخ الإمام الصوفي الهمام فتمتعت النفس والعين من مشاهدته ومن جميل لقائه وتزودت منه ما ينفعني الله به دنيا وأخرى من جليل علومه وأحواله**» (البطوئي، 2000، ص: 47).

وما يحملنا على تأكيد هذا، وعلى استمراره، هو وجود فقرة أخرى أدرجت ضِمن مراسلة جوابية بعث بها محمد الصغير ـ نجل ابن مريم ـ يخبر فيها صديقه عيسى البطوئي بقوله: «(...) **مقام الأخ الشقيق سيدي عيسى. وما ذكرتم في شأن مناقب السيد الوالد فإننا إن شاء الله مشتغل بها، تصلكم إن شاء الله، وسلم لنا على سيدي أحمد بن إبراهيم الراسي وعلى سيدي إسماعيل وعلى كافة إخواننا الطلبة**» (البطوئي، 2000، ص: 47).

وبمجرد الإشارة إلى وجود زمرة من الطلبة المعروفين في مدشر الحناية التلمساني دليل على إثبات تلك الصلة، وتأكد من جهة أخرى على الحياة الثقافية التي دبت بمسجد تيزي عدنيت كمركز ديني بالريف الشرقي، وهذه المرة تحت إشراف عيسى البطوئي (الفكيكي، (دت)، ص:6).

5. النتائج العلمية والإجتماعية لرِحلة البطوئي

وحسبنا في ختام هذه الجولة العلمية مع عيسى البطوئي ورحلته المميزة، إلا أن نطرح على بساط البحث، عدة تساؤلات متعلقة بالنتائج التي أسفر عنها استقراره بتلمسان، تلك الرِّحلة التي تجاوزت حسب تقدير بعض المؤرخين خمسة عشر عامًا، كان خلالها قد بنى بعض أسس حياته بها من ممارسة للفلاحة وعزمه على الزواج الذي لم يفلح فيه في تلمسان على ما أشرنا له سابقًا.

وإننا نلمس في تقديم مراحل تكوين عيسى البطوئي من خلال نصوصه، نموذجًا أصيلاً لطرق ارتشاق البوادي الريفية من علوم مدينتي فاس وتلمسان، وهما مركزان رئيسيان للإقتباس الثقافي بالنسبة لقبائل الريف الشرقي، ولا أدل على ذلك ممَّا يُصادف في كتب التراجم من البطوئيين الذي كان لهم مقام مرموق بالمدينتين (الفكيكي، (دت)، ص: 7).

وعن المستوى العلمي التي تُوِّجَت به نهاية رِحلته، فإن مجهوده في التأليف أصدق تعبير عن ذلك، ويكفي هنا أن نشير إلى الميزة التي أضفاها عليه شيخه ابن مريم، حين نعته بـ: «**الفقيه**» وهي

مرتبة لها دلالتها في الوسط الثقافي آنذاك.

6. خاتمة

بناءًا على هذا العرض التقييمي الموسوم بـ: «**الحركة العلمية في تلمسان ما بين** (1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م)، **من خلال رحلة البطوئي**». والقراءة الاستنتاجية المتأنية لمُؤلف الشيخ البطوئي "مطلب الفوز والفلاح ... "، تمكنا من الوقوف على بعض النقاط. نسجل نتائجها بإيجاز فيما يلي:

ـ كشفت لنا رحلة البطوئي عن فترة زمنية هامة من تاريخ تلمسان الثقافي والتي دامت مدة 17 سنة، قيد أخبارها العلمية البطوئي في رحلته بشيء من الإسهاب، وضمنها بأخبار علماء وبيوتات علمية لم تذكرها بقية المصادر المعاصرة له.

ـ أبانت رحلة البطوئي عن نوعية العلوم الملقنة في تلمسان ما بين 1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م، في مناهجها وأساليبها واختصاصات شيوخها من أهل صَفوَة الصَّفوَة بتلمسان.

ـ تندرج رِحلة البطوئي ضِمن الرِّحلات العلمية الإثنوغرافية، التي تشترط في تحول الرحلة العادية إلى رِحلة اثنوغرافية مكوث الرحالة في موطن ارتحاله لمدة تتجاوز الثلاث سنوات. والرِّحلة الاثنوغرافية تحتوي بناء على ذلك حقائق ومعلومات تاريخية هامة بالمشاهدة المباشرة للرحالة الذي عايش الناس وما يعتقدونه من دين وثقافة.

ـ أظهرت رِحلة البطوئي العلاقات الفكرية التي رسمت أواصر التواصل الثقافي بين تلمسان ومدشر تيزي عدنيت، كنتيجة من النتائج العلمية لهذه الرِّحلة التي نقلت علوم تلمسان لبَطْوِيَة، وأرخت للتلاقح الفكري الذي لم يغفله صاحب الرحلة بالتبجيل العلمي لشيوخه التلمسانيين وفي مقدمتهم ابن مريم الأب.

ـ ثَمَّنت هذه الرِّحلة إجتهادات ابن مريم الأب والجد، وأضافت عِلاوة على ذلك إسم جديد لهذا البيت العلمي وهو سليل ابن مريم الأب، الذي كان عالما وفقيها لم تذكره المصادر الأخرى.

ـ أحالت السنوات التي قضاها البطوئي في تلمسان لسيرة ومسيرة علماء وفطاحل ينتمون لمداشر وقرى تلمسان، كانوا على درجة عالية من التمكن العلمي والفقهي، حتى أنهم تخصصوا بكثرة في العلوم النقلية والفقهية على وجه التحديد، جعلت منهم أقطاب المعارف الفقهية في تلمسان من دون منازع على حد قول صاحب الرِّحلة.

ـ قدمت لنا هذه الرِّحلة معلومات تاريخية هامة عن مختلف الأدوار العلمية لأفراد وبيوتات علمية غمرها الزمان، ولم تشر لها مختلف المصادر، ما يجعل الوعاء المعلوماتي لرحلة البطوئي ينفرد بالصدارة المعرفية والمنهجية في مقام التأريخ للأوضاع الثقافية في تلمسان في الفترة المشار إليها سابقا.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

التعليقات

***بيت البطيوي**: هو بيت علم مغربي الأصل ينتمي إلى بيوتات الريف الشرقي، وهو بيت يضم العديد من العلماء والأولياء وردت في كتاب "**الحركة العلمية في المغرب**" لمحمد حجي، حيث أكد هذا الأخير أن نشاط العلماء البطوئيين أيام السعديين لم يقتصر على بلادهم الريفية، بل اسهموا في نشيط الحركة العلمية حتى في مدينة فاس، وتولى بعضهم قضاء الجماعة بها.

****بَطْوِيَة**: ويقال «**بطيوة**»، وهي قبيلة صنهاجية استقرت في شمال المغرب الأقصى قديما، وأطلق اسمها على ساحل البحر المتوسط الممتد من غرب مليلية إلى المزمة (الحسيمة).

(Domenech, 1942, P: 47)

*****البناء**: هو الزواج. وقبله: يقصد فترة الخطوبة أو فترة كتاب الكتاب «**العقد الشرعي**» إلى ليلة الدخلة، والتي هي بداية البناء بالزوجة.

******ولهاصة**: جبل ولهاصة: يقع شمال تلمسان على الساحل، قال فيه الرحالة الحسن الوزان: «**يجاور هذا الجبل المرتفع مدينة هنين، وتسكنه قبيلة عاتية، لكنها ريفية، وكثيرا ما حاربت أهل هنين حتّى خربت مدينتهم، ينبت فيه قليل من القمح وكثيرا من الخروب**». (الوزان، 1983، ص: 44).

*******أبو العباس أحمد المنصور (ت1012هـ/1603م): هو أبو العباس أحمد بن محمد المهدي الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي، ولد بفاس عام 956هـ/1549م، كان من المهتمين بالعلم والعلماء، مؤلفا للكتب، ومجالسا للعلماء، فكان الطابع العلمي من أهم مميزات هذا السلطان، إلى جانب معاملاته الدبلوماسية والتجارية التي أنعشت المغرب، توفي مطعونا ليلة الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012هـ/24 أوت 1603م، ودفن بإيزاء الجامع الأعظم بفاس الجديدة، ثم نقل على مراكش ودفن في قبور الأشراف قبلى جامع المنصور بالقصبة (إبن القاضي، 1986، ص ص: 220 ـ 230).

********وقعت أحداث دامية بتلمسان مع مطلع القرن 11هـ/17م، وتوالت حتى أنصاف هذا القرن، ولا نعرف اسبابها العميقة، لسكوت المصادر عنها، غير أن بعضها قد دُون في قلة قليلة من المصادر، كـ: كعبة الطائفين لابن الصائم التلمساني، الذي أشار لثورة السوسي حوالي سنة 1037هـ/1626م، حيث قام ابن الصائم بسبب هذه الفتنة بالسفر من تلمسان بأمر من شيخه الالتي التلمساني، وفر إلى البادية حتى انتهت الفتنة. إذ يخبرنا المؤلف بإنذار شيخه المذكور، قائلاً: «**قم وارحل منها رحيل العافية، قبل أن تزعج منها فلا تجد مخرجا....، فإذا لم تخرج منها بغرضك حتى تخرج منها بالسيف، وإن أحياك الله ترى الدم في هذه المدينة (...) من كثرة القتل والهرج، لكن ابن سليمان تردد في الخروج، إلى أن وقعت الواقعة، يقول في هذا الصدد: فطلبت الرحيل، فلم أجد مخلصا، واعتذرت للعامة: فقالوا: أنت إمامنا وبركتنا لا تفارقنا، فاحتلت على اخراج الكتب وما عز وخف، وتركت الباقي في دار الغرور،**

وفررت بديني إلى البادية حتى قضى الله ما قضى، ومات القائم، أي محمد بن أحمد السوسي زعيم الثورة، ومات من الخلائق ما لا يحصى». كل هذه الفتن صاحبتها كوارث طبيعية متمثلة في الوباء الذي هلك بسببه الكثير من عامة الناس بتلمسان والعلماء على وجه التحديد سنة 1058هـ/1650م، ممَّا انعكس سلبًا على الحياة العلمية بالمدينة المذكورة مع مرور الوقت. لتفاصيل أكثر حول أسباب تراجع الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن 11هـ/17م (ابن الصائم، (دت)، ص: 112).

*******بوهناق: هو اسم نهر وجبل يقع شمال غرب تلمسان، ويبعد عنها نحو 10 كلم.

********الرّحلات الاثنوغرافية: هي رحلات يعايش فيها صاحبها سكان المناطق التي دخلها وارتحل إليها لمدة تزيد عن الثلاث سنوات، والاثنوغرافية مصطلح ينقسم لقسمين: «**اثنو**»: تعني علم الاثنيات، و«**غرافيا**»: تني الصورة. فيصبح المعنى للمصطلح: صورة أنواع الاثنيات وطبائعهم الحياتية، علمية كانت أم سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها.

*********أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري (كان حيا سنة 1011هـ/ 1611م): هو سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمان بن بلعيش المقري، تلقى العلوم الأولى وهو صبي، فحفظ القرآن الكريم، وألم على مصنفات النحويين من «**أجرومية**» و«**ألفية**» وغيرهما، ثم راح ينهل من مختلف صنوف المعرفة وفنون العلم، حتَّى بلغ شأنا عظيما في الدرس والتّحصيل، ولا سيما في التّوحيد، والفقه، والعربيّة، والأمثال، وأيام العرب، كما برز في العلوم العقليّة من حساب، ومنطق، وفرائض، وهندسة، وطب، وتنجيم، وفلاحة. (Ibn Maryam, 1910, P: 235))

**********جبل أترارة: جبال ترارة عبارة عن سلسلة ساحلية في الامتداد الغربي للأطلس التلي، تظهر هذه الكتلة الصخرية كقوس جبلي يربط بين البحر الأبيض المتوسط من الشمال، ووادي التافنة من الشرق، ووادي مويلح من الجنوب، ووادي قيس إلى الغرب الذي يحدد الحدود الجزائرية المغربية (المدني، 1984، ص: 163).

**********القطبانية: وهي مرتبة من مراتب المتصوفة الثلاث، تأتي بعد مرتبة العارفين ومرتبة الأفراد، ومرتبة القطب هي مرتبة غيب الغيب التي لا تذكر ولا يعرفها إلا صاحبها وهو القطب الجامع لأن له المرتبتين السابقتين، ومما أكرم الله به قطب الاقطاب أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له وأن يعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات (حمدي، 2000، ص: 85).

**********المكاشفة الصوفية: وهي مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، وتأتي بعدها المشاهدة التي هي مطالعة القلب للجمال القدسي، والتجلي صفة الرب سبحانه وتعالى (حمدي، 2000، ص: 86).

**********أبو عبد الله محمد عاشور بن علي بن يحيى السلكسيني الجَادِيري التّلمساني (ت 1014هـ/ 1605م): أحد علماء تلمسان الذين ينتمون لبيت الجاديري، وهو محمد عاشور بن علي بن يحيى السلكسيني الجاديري التلمساني، توفي بعد اثنين وأربعين سنة من وفاة والده أبو الحسن علي بن يحيى السّلكسيني الجَادِيري التّلمسانيّ (ت972هـ/1565م) (ابن مريم، 2014، ص: 234).

**********باب علي: إسم حي من أحياء تلمسان تقع في الركن الشمالي الشرقي لتلمسان، يحدها غربا حي سيدي عبد الجبار، وشرقا حي باب زيري.

**********الحناية: أحد أحواز مدينة تلمسان نحو الشمال من المدينة المذكورة.

**********قد كانت كلمة «**سيدي**» تستعملُ استعمالاً واسعاً في المغرب العربي عادة لتعني «**وليًا صالحًا**»، وهي كلمة احترام تدل على مَهَابَة أكثر وأرفع (دوتي، 2014، ص: 84).

**********أسلوب البزق في الأذن: تعبير مجازي وأسلوب في التعليم، وأول من وظفه في طيات تأليفه العالم والمؤرخ التلمساني ابن مريم المليتي في "**البستان**" وهو يترجم لأعلام تلمسان، وتفسير هذا الأسلوب هو أن يأخذ الطالب العلم من نفثات فم شيخه مباشرة، فيلازمه أوقاتا طويلة وجها لوجه، لا بالإجازة العابرة أو المكتوبة.

**********الإجازة: وهي طلب طالب العلم من أستاذه، وشيخه أن يجيزه بمسموعياته ومروياته، الّتي حصل عليها من شيوخ آخرين، وأن يأذن له بالنقل عنه، فالطالب مجازٌ له، والأستاذ الشيخ مجيزٌ، ولا تمنح الإجازة إلا لماهر في صنعته، أو متقن لمعارفه، وينبغي للمجيز أو من أنابه أن يكتب الإجازة، أو يصدق على صحتها، أو يتلفظ بها «**أمام شهود**». كما تعتبر الإجازة النظام الأساسي للرحلة في البحث عن المعرفة، الّتي وضعت في وقت مبكر عن طريق طلاب علم الحديث، وما زالت الإجازة سارية المفعول عند العلماء حتى اليوم (بن فارس، 1979، ص: 494).

المصادر والمراجع

- بومدين محمد، (2021)، «إضاءات على نماذج من ذخائر الكتب وخزائن المكتبات الخاصّة بعلماء تلمسان خلال العهد العثمانيّ»، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلة محكمة دولية تصدرها جامعة وهران02، المجلد 10 - العدد الثاني (02)، 16 مارس.

- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي (كان حيا بعد سنة1046هـ/1636م)، (2000)، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، دراسة وتحقيق: الفكيكي حسن، منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط.

- التلمساني (أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي كان حيا سنة 1066هـ/1656م)، مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: 4601.

- التلمساني (أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني كان حيا

سنة 1025هـ/1625م)، (2014)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ حجي محمد، (1978)، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب.

ـ حسن الفكيكي، (د.ت)، «من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري: عيسى بن محمد الراسي البطوئي»، مجلة دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد – الرباط – المغرب، العدد: 250. على الرابط:

http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6488

رُوجع يوم: 01/11/2021. في الساعة: 22:28.

ـ حمدي أيمن، (2000)، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

ـ الحسني القاسمي عبد المنعم، (2005)، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر.

ـ دوتي إدموند (ت 1334هـ/ 1926م)، (2014)، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

ـ بن زكرياء أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ/ 1004م)، (1979)، معجم مقاييس اللغة، (ج1)، تح: محمد هارون عبد السلام، دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت.

ـ الصيداوي يوسف، (1999)، الكفاف، دار الفكر، لبنان.

ـ إبن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الفاسي ت 1056هـ/ 1651م)، (1986)، المنتقى المقصور على مآثر مولانا المنصور، (جزآن)، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط.

ـ (قاموس)، (2008)، معلمة المغرب، قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، (ج4)، مطبعة النجاح الجديدة، سلا.

ـ المدني أحمد توفيق، (1984)، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

ـ نويهض عادل، (1980)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف والترجمة والنشر، بيروت.

ـ الوزان أبو علي الحسن بن محمد (كان حياً سنة 935هـ/ 1525م)، (1983)، وصف إفريقيا، (ج2)، تر: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.

ـ Ibn Maryam Aboū Abdallahe Mohamed Ibn Mohamed Ibn Ahmad El Cherifs El Tilimsānī . El Melity Ele Madyouni, (1910), El Bostan ou Jardin Des Biographies Des Saints Et Savants De Tlemcen, Tra Par: F. Provenzali, Imprimerie Orientale Fontana Frères, Alger.

ـ Lafuente (Domenech), (1942), Apuntes Sobre Geografia De La Zona Norte Del Protectorado De Espana En Marruecos, tercera edicion.

ـ كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

محمد بومدين، (2022)، الحركة العلمية في تلمسان ما بين (1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م)، من خلال رحلة البطوئي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 14، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات: 47-59